المشروع التنويري عند سلامة موسى
نقد وتحليل

أ.م.د. فائزة تومان الشمري
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
E- faeza.alshemeri@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

المفكر سلامة موسى[١] هو من الشخصيات القلائل التي احتفظت بتوازنها النفسي والفكري، ولم يتراجع عن منهجه الفكري (الآيديولوجي) حتى اللحظة الأخيرة من حياته. وهو رائد الاشتراكية وأول المروجين لأفكارها في النصف الأول من القرن الماضي والذي يعد من المفكرين التنويريين القلائل الذين أثروا وبشكل كبير جدا في عقلية الشباب العربي في ذلك الوقت ولاسيما في عقدي الأربعينيات والخمسنيات، إذ أثر أثراً بالغاً في حياة عشرات الألوف من الشباب الذين قرؤوا له وتأثروا به.

ورأى بعضهم في سلامة موسى ممن تناولوا فكره بالدراسة والنقد والتحليل بأنه نموذج نادر في ثقافتنا للكاتب الذي لايموت بموته، بل هو من علّمنا بأنَ التقولب يعني الموت.[٢] كما ان هناك عددا كبيرا من الباحثين اجمعوا على مدى أثر فكره العميق في حياة مصر الثقافية والأدبية في تلك المدة، وأن أثره سيظل ممتداً راسخاً في المستقبل الى أمد طويل.[٣]

لقد عاش سلامة موسى في زمن يمكن لنا أن نسميه بزمن العمالقة في الاتجاهات كلها الأدب والفلسفة والسياسة والفن، وكان للصراع الآيديولوجي بين الحربين العالميتين أثر كبير في توجهاته الفكرية والأدبية..

ونظرا لتباين الآراء بشأن سلامة موسى وبعيداً عن الأطر الايديولوجية المختلفة التي أطّروا بها فكره وشخصه فإننا سنحاول في هذا البحث أن نقف على طبيعة وأبعاد دوره التنويري في عصر نهضة الفكر العربي على مدى العقود الخمسة الأولى من القرن العشرين وأن نسلط الضوء على الجوانب المشرقة وغير المشرقة من فكره والعناصر التي أسهمت في بلورة وتكوين شخصيته وثقافته الأدبية. وعليه فأن المبحث الأول سيكون عن الجانب المشرق من مشروعه التنويري ودوره الكبير في إرساء دعائم الثقافة وتجديد الفكر. أما المبحث الثاني فسنتناول فيه الجانب غير المشرق من مشروعه هذا والمتمثل في دعوته للقطيعه مع الدين والتراث والذي

كان احد أهم اسباب فشل مشروعه التنويري هذا. أما المبحث الثالث فيتناول المشروع التنويري على وفق أسباب الفشل في عدم استمراره.

المبحث الأول: سلامة موسى بين الفكر الغربي والإصلاح

بدأت علاقة سلامة موسى بالغرب في العام ١٩٠٦ عندما قرر السفر إلى فرنسا ، فكانت مرآته الأولى على الحضارة الأوربية. وهناك فتحت له آفاق جديدة غيرت مسار حياته ، وفي غضون أشهر تعلم اللغة الفرنسية التي ساعدته على الانصهار في المجتمع الفرنسي، فقرأ العديد من الكتب التي بعثت النور في عقله والشجاعة في قلبه فقرر منذ ذلك الوقت ، وهو في حوالي العشرين من العمر، أن يكون متمدنا مثقفا، وعاش باقي سنوات عمره كما يقول في خصومات بسبب قراره هذا.[٤] وفي مواضع كثيرة من كتبه عبر موسى عن إعجابه الشديد بالمجتمع الفرنسي، بل كانت فرنسا مرآته الأولى على الحضارة الأوربية. وذهب الى ابعد من ذلك عندما قال بأن لفرنسا فضلاً عليه عندما جعلته أوروبي الفكر، أي يفكر بموضوعية ويؤمن بتحرير المرأة، وحرية الفكر وتحرير العقل، وكذب الغيبيات.[٥]

وكان بقاؤه في فرنسا ثلاث سنوات جعله يطلع على الفلسفة الغربية ويتعرف على أكبر مفكريها. ثم انتقل الى انكلتر لأكمال دراسته فظل فيها مايقارب الأربع سنوات دون أن يكمل دراسته التي انصرف عنها الى القراءة ، فقرأ للكثير من عمالقة الفكر والأدب، أمثال ماركس وفولتير، وغوته وبرنارد شو وتشارلس دارون الذي تأثر بنظريته في النشوء والأرتقاء تأثرا كبيرا.[٦]

ويتضح من خلال كتب سلامة موسى الأربعين مدى تأثره بالغرب ودعوته الى محاكاته وتقليده في كل شيء، وان أول خطوة قام بها بعد عودته الى مصر هو تأليف كتاب "السوبرمان" الذي يبين انبهاره بالغرب ودعوته للمجتمع المصري الى التشبه به والانتماء اليه والتخلي عن كل الأفكار والمعتقدات الدينية والاجتماعية. واذا ما اردنا ان ننهض بمجتمعنا علينا أن نولي وجهنا شطر الغرب[٧].

وقد اشار في كتابه " هؤلاء علموني " لعدد من المفكرين الذين أثروا عقله ودفعوا بحياته لمنحى جديد من الرقي، ويستشف المرء المطلع على كتاباته أن هناك ثلاثة عوامل غربية رئيسية قد أثرت في بلورة فكره وشخصيته ووسمته بالطابع الذي تميز فيه، وهذه العوامل كما نرى هي:

الأول: الأديب الفرنسي "فولتير" كرمز لحرية الفكر من خلال الثورة على العقائد البالية (في مصر والمجتمع العربي).

ممـا لاشـك فيـه أن سـلامة موسـى هـو أديـب مـن الطـراز الأول وبداياتـه الأدبيـة والفكريـة كانـت مبكـرة جـدا حيـث أن عناصـر فلسـفته الإنسـانية تكشـفت عنـدما لـم يتجـاوز العشـرين مـن العمـر، وقـد سـمحت مـدة بقائـه فـي فرنسـا بقـراءة أدب فـولتير فتـأثر بأفكـاره ومبادئـه الـى حـد محاكاتـه فـي كـل مسـاره الفكـري والأدبـي لدرجـة أنـه دعـا الـى تطبيـق جـل افكـار فـولتير علـى المجتمـع العربـي عمومـا والمجتمـع المصـري علـى وجـه الخصـوص ولا نغـالي اذا ماقلنـا إنـه حـاول أن يكـون (فـولتير العـرب) وشخصـية فـولتير بالنسـبة إليـه شخصـية تسـتحق الإنبهـار بهـا، ولـو حاولنـا عقـد مقارنـة بينهمـا سنلاحظ مدى محاكاة هذا لذاك ولتكن المقارنة على النحو التالي..

١ – لقـد غيـر فـولتير وجـه الحيـاة الأوربيـة فـي القـرن الثـامن عشـر مـن خـلال نبـذ الاسـتبداد والعنـف والتعصـب والـدعوة إلـى التسـامح والحريـة ومناصـرة الطبقـة الكادحـة مـن عمـال وفلاحيـين. وهـذا مـا قـام بـه سـلامة موسـى ودعـا إليـه فـي ثلاثينيـات وأربعينيـات القـرن الماضـي وآمـن بالأشـتراكية وان كـل البشـر متسـاوون فـي الحقـوق والواجبات وإن اختلفت مذاهبهم ودياناتهم.

٢– رفـض فـولتير التحـالف الوثيـق بـين الكهنـة والطغـاة، وبتعبيـر أدق بـين الكنيسـة ورجـال السـلطة. وكـان يـرى أن الكنيسـة يجـب ألا تحتكـر الـدين وأننـا يجـب أن نكـون إلهيـين قبـل أن نكـون مسـيحيين أو مسـلمين أو يهـودا ، وفـى هـذا يقـول فـولتير " كلمـة الإلهـي هـي الوصـف الوحيـد الـذي يجـب أن يتصـف بـه الإنسـان والكتـاب الوحيـد الـذي يجـب أن يقـرأ هـو كتـاب الطبيعـة والديانـة الوحيـدة هـي أن نعبـد الله وأن يكـون لنـا شـرف وأمانـة وهـذه الديانـة الصـافية الخالـدة لـن تكـون سـببا لـلأذى " . أمـا سـلامة موسـى فنجـده يـرفض الميتافيزيقـا وينبـذ غيبياتهـا وكـان يخشـى التحـالف القـائم فـي مصـر بـين السـلطة الدينيـة والسـلطة السياسـية، وان الموقـف الـذي ذكـره فـي كتابـه (هؤلاء علموني) يشير الى مدى رهبته من ذلك التحالف.[٨]

لقد كـان انتقائيـاً فـي تعاملـه مـع الفكـر الغربـي ولـم يأخـذ محـوراً فكريـاً موحـداً ومحـدداً بـل تجاذبته تيارات فكرية مختلفة.[٩]

الثـاني: الأديـب الأنكليـزي السـاخر "برناردشـو" كرمـز للسـخرية مـن الواقـع السياسـي ولتقديم الفلسفة عن طريق الأدب.

إن تـأثير الأدبـاء والمثقفين الكبـار فـي الـرأي العـام أقـوى وأعـم مـن تـأثير المتخصصـين فـي الفلسـفة أو العلـوم الأخـرى ، وسـلامة موسـى تـأثر بالعديـد مـن هـؤلاء وابـرزهم الشـاعر الألمـاني غوتيـه والأديـب الأنكليـزي برناردشـو والسـالف الـذكر الفرنسـي فـولتير.. وكـان سـلامة قـد اخـذ عـن غوتـه مبـدأه فـي تكـوين الشخصـية وبنائهـا الثقـافي،

فكان كتابه (تربية سلامة موسى) دليلا واضحا على ذلك.. حيث يذكر فيه كل المؤثرات التي بنته وكونت شخصيته التي هو عليها.

لم يتأثر سلامة بسلاسة قلم برناردشو الساخر واسلوبه الأدبي فقط وانما تأثر ايضا بتوجهه الأشتراكي في التفكير. وان عشرات الكتب والمقالات الأدبية التي الفها سلامة تبين مدى تأثره بأسلوب برناردشو في الكتابة.. وهو الطريق الذي انتهجه للترويج لكل أفكاره العلمية والفلسفية. لقد كان علمي الذهن ، أدبي الوسيلة ، فلسفي الهدف، يمتاز بالتفكير العلمي والاتجاه الاشتراكي للأنسان وهو بذلك متأثر ببرنارد شو الى حد كبير. بل انه التحق بالجمعية الفابية[١٠] التي يتزعمها الأخير والتي كانت تنشر الأشتراكية بين المتوسطين والأغنياء.

لقد دعا سلامة موسى الى الأهتمام بسائر أشكال الوعي الأجتماعي مثل الأدب والفلسفة والعلم والفن، ذلك أن الحياة أختيار مباشر، وينصح الإنسان فيقول: " لاتكن أديبا فقط ، أو عالماً فقط ، أو فيلسوفاً فقط ، بل كن الثلاثة ".[١١]

ويرى سلامة موسى أن الأمة التي تهمل العلوم تهمل حياتها، وقد حاول طيلة حياته التي قضاها في مصر أن يعمم التوجيه العلمي بمؤلفات شعبية مختلفة وبلغة أدبية سلسلة[١٢] وقد انتقص قيمة مؤلفات بعض الكتاب في مصر لأنها لم تكن تتجه الاتجاه العلمي أو على الأقل كانت تتجاهل الأسس العلمية وتستسلم لمزاعم ميتافيزيقية.[١٣] وهذا يعني أنه كان يفكر بآفاق فلسفية ولكن بلغة أدبية كما هي الحال مع برناردشو.

إن كل ماكان يريده سلامة موسى هو أن يكون مفكراً وكاتباً مستنيراً، ينير الطريق أمام أبناء وطنه، لمستقبل أفضل، يتحقق فيه الاستقلال الوطني، وتتحرر المرأة فيه من كل القيود، لتصبح قوة عاملة في المجتمع بجانب الرجل، وينتشر العلم، وتتحول مصر إلى الصناعة، ويختفي الجهل والفقر والمرض، والإيمان بالغيبيات، وتنتشر المدارس للبنات والبنين.[١٤] كما أكد في السياق ذاته أهمية الثقافة الموسوعية في حياة الأنسان، وأن يكون الرائد في حياتنا التعميم لا التخصيص بالرغم مما للتخصيص من أهمية في اكتساب البراعة أو المهارة في فن أو علم، الا ان الاكتفاء بالتخصيص يؤدي الى ضيق الأفق.

الثالث: العالم الأنكليزي "تشارلس دارون" كرمز للمنهج العلمي في التفكير.

لم يتأثر سلامة موسى بنظرية التطور لدارون فحسب، بل تبناها وروج لها من اجل اشاعة روح المنهج العلمي في التفكير وتعميمه بين الناس.[١٥] وقد لعب دوراً أساسياً في تقديم هذه النظرية وغيرها من الأفكار العلمية الحديثة إلى الشباب بأسلوب ادبي

شيق وطرق أبواب علم النفس، وتحدث عن المذاهب الفلسفية، وتناول الاتجاهات الاقتصادية، وكتب في علوم الأحياء وفي تاريخ الفنون، كما كان يتابع سير العلوم أولاً بأول، وما من كشف علمي جديد الا وقد وجد له تعريفا وشرحا بلغة ادبية سلسلة يسهل فهمها من الناس البسطاء.[١٦] فمارس بذلك حضوراً ثقافياً في مناخ الفكر العربي المعاصر في النصف الأول من القرن العشرين.[١٧] كان من نتائجه ان تغيرت العقلية العربية (المصرية) وبدأت تساير العالم المعاصر بفضله وصار المجتمع يفكر ويبني ويتحرك على هدي الثورة الذهنية التي كان هو رائدها.[١٨]

ولم تكن فلسفة سلامة موسى مباشرة وانما تقبع خلف سطوره الثقافية الأدبية ، يقول الباحث كمال عبداللطيف: " إن الفلسفة تقرأ خلف ماهو مكتوب، انها تظهر في الوقت الذي ينتهي الخطاب، حيث يبرز موقف فلسفي من الانسان والتاريخ "[١٩] ونتيجة لتبنيه نظرية التطور وقضايا سياسية ودينية واجتماعية متنوعة دخل سلامة موسى في معارك وسجالات ادبية هيجت أوساطا عديدة ضد أفكاره.

ولم يتراجع موسى بل ألف كتاباً عن نظرية التطور بعنوان (نظرية التطور وأصل الإنسان) وكتابا آخر بعنوان (الإنسان قمة التطور)[٢٠] شرح فيهما فكرة التطور ونشأة الحياة الأولى، ثم تطور الحيوان والإنسان وظهور المجتمع لينتهي بالحديث عن "إنسان المستقبل"، وعن سبب التطور يقول إنه اختلاف الصفات والإمكانات في الكائنات..

وعن العلاقة بين الإنسان والقرد يلاحظ سلامة موسى أن حدائق الحيوان لا تحتوي في الغالب إلا على الأنواع الدنيا من القردة، والتي لا يمكن لأحد أن يفكر بأنها تشترك مع الإنسان في أصل واحد. ولكن هناك أربعة أنواع من القردة العليا لا نراها عادة في كل الحدائق وهي "الجيبون" و"الأورانج أوتان" و"الشمبانزي" و"الغوريلا". وهذه القردة "بتراء"، بدون ذيل كالإنسان ونحن نمتاز عنها بقامة عمودية وبجمجمة كبيرة وبجسم أملط أو خفيف الشعر. ونحن نحبو أولاً في طفولتنا ثم نتعلم الوقوف باستقامة ونعود في شيخوختنا إلى الانحناء. ولو لم يكن وضعنا العمودي لا ثقلت الجمجمة الكبيرة كاهلنا.[٢١]

إذن هناك علاقة قرابة تطورية – كما يقول – تربط بيننا وبين الحيوان، وقطع كل منا على هذا الكوكب مايقارب الـ ٧٠٠ مليون سنة، وقد انقرض بعضنا وبقي بعضنا الآخر، ولكن مع هذا الانقراض وهذا البقاء يتجه التطور في مجموعة نحو مانفهم من الرقي البشري ... وإذن نجد أن للرقي البشري أساسا طبيعيا. بل إن هذا الرقي مفروض علينا وواجب محتم بل واجب ديني بحيث يتطور الفرد وتتطور

الأمـة وتتطـور الـدنيا. ومـن يعـارض التطـور ويـدعو الـى الجمـود يكفـر لأنـه يعـارض الدين.[٢٢]

وهـو هنـا قـد شـكل امتـداداً أكثـر تقـدما لشـبلي شـميل فـي التطـور، وان لـه رؤيـة ماديـة للكـون والإنسـان تتسـم بأنهـا جسـورة رغـم ترددهـا، وذات نفحـة انسـانية تجمـع مـابين المغـامرة النقديـة لعصـر الأنـوار الفرنسـي معـززة بماديـة نظريـة التطـور ومطعمـة بـاخلاق السـعادة النفعيـة كمـا صـاغتها اشـتراكية فـابيوس التـي آمـن بهـا. ونستشـف مـن كـل ماتقـدم بـأن لسـلامة موسـى فلسـفة ماديـة ميكانيكيـة تصـل مـابين منهجـه النظـري ومحاولاته العملية لتغيير الواقع.[٢٣]

المبحث الثاني: الدعوة للقطيعة مع التراث

تمهيد..

عـدَ سـلامة موسـى المجتمـع العربـي عمومـا والمجتمـع المصـري علـى وجـه الخصـوص مجتمعـا رجعيـا متخلفـا تسـيطر عليـه التقاليـد والاعـراف الباليـة ورأى أن نهـوض الأمـة وتقـدمها لا يمكـن أن يحـدث مـن دون محاربـة كـل مصـادر الجهـل. وقـد أخـذ سـلامة علـى عاتقـه هـذه المهمـة، وازداد اصـرارا بعـد سـفره لأوربـا ومـا اصـابه مـن انبهـار وذهـول لمـا شـاهده مـن تطـور وتقـدم فـي المجتمـع الأوربـي سـواء علـى صـعيد المـرأة او الأنظمـة السياسـية وكـل أشـكال الحضـارة المدنيـة وأحـس فـي داخلـه كـم هـو البـون الشاسع بين هذا المجتمع وذاك.

وبعـد أن عـاد مـن أوربـا عقـد العـزم علـى محاربـة كـل مـا مـن شـأنه أن يعيـق تقـدم المجتمـع المصـري ، وكـان القلـم والكتـاب سـلاحه فـي تنـوير العامـة ، وأول مـا توجـه بالنقد إليـه هـو التـراث العربـي بكـل مـا فيـه مـن سياسـة وأدب ودين ولغـة ، ودعـا فـي كـل كتبـه الأربعـين الـى القطيعـة مـع ذلـك التـراث الـذي عـده عائقـاً كبيـراً فـي تقـدم الأمـة ونهوضها..

فـي هـذا المبحـث نحـاول ان نسـتعرض حقيقـة موقفـه هـذا بشـكل موضـوعي وان نركـز علـى جـانبين مهمـين همـا (الـدين والتـراث).. حيـث كانـت هنـاك معـارك سياسـية وفكريـة وأدبية خاضها سلامة موسى مع رافضي مشروعه التنويري هذا.

أولا: موقفه من الدين

أشـار سـلامة موسـى فـي معظـم كتبـه الـى أن ديانتـه الحقيقـة وإيمانـه العميـق إنمـا يكمـن فـي الفلسـفة ، فديانتـه موضـوعية منطقيـة لا ذاتيـة عقيديـة فقـط[٢٤] ولـيس هنـاك تعـارض – عنـده – بـين الـدين والفلسـفة، بـل إن قضـية كلاهمـا كيـف نفكـر التفكيـر العقلـي السـليم ، فالفلسـفة هـي الـدين (وذلـك لأن قضـية الـدين هـي نفسـها قضـية

الفلسفة، وهي : كيف نفكر التفكير السليم ونعيش العيشة الطيبة؟ ومقاييس الدين هي في النهاية مقاييس الفلسفة)[٢٥] فهو يؤمن بديانة العقل وميتافيزيقا العلم لأنها قابلة لأن تتحقق. وعلى الرغم من نزعته العلمية وميله للماركسية وماديتها ، والشيوعية واشتراكيتها، فانه لم يقف من الدين موقفاً معادياً يمكن أن يؤخذ عليه، بل أكد روح الإنسانية لديه، فديانته هي الأنسانية بما تحوي من فلاسفة وأنبياء وأدباء ، وبما تحوي من شجاعة وذكاء ومرؤة ورحمة وجمال وشرف.[٢٦]

كما انه لم يحارب العقيدة الدينية في حد ذاتها، وعلى العكس أكد أن المتدين إنما يحس سلاماً ويجد ابتهاجاً يحرم منهما غير المتدين[٢٧] : وأكد أن جميع الكتب السماوية المقدسة وعشرات الكتب الأدبية والفلسفية الأخرى قد شكلت المرجع الرئيسي لديانته فيقول (إني أؤمن بالمسيحية والأسلام واليهودية ، وأحب المسيح وأعجب بمحمد، وأستنير بموسى ، وأتأمل بولص وأهفو الى بوذا. وأحس ان كل هؤلاء أقربائي في الروح أحيا معهم على تفاهم واستلهم منهم المروءة والحق والرحمة والشرف)[٢٨]. و (إن بعض ديانتي يرجع أيضا الى "جمهورية أفلاطون" والى "الإنسان والسوبرمان" لبرناردشو، والى مؤلفات جان جاك روسو، وتولستوي ... فقد زودني هؤلاء جميعا بهرمونات دينية.)[٢٩]. وأؤمن زيادة على هؤلاء ، بحب الطبيعة وجلال الكون، ولا أنسى المعنى الديني في نظرية التطور ، وموكب الأحياء التي يتوجها الإنسان. بل اني لأجد هذا المعنى الديني في جمال المرأة، وقداسة الأمومة وشرف الإنسانية "[٣٠]

وهو في هذا الرأي متأثر الى حد كبير بفولتير الذي يقول : إن " كلمة الإلهي هي الوصف الوحيد الذي يجب أن يتصف به الإنسان والكتاب الوحيد الذي يجب أن يقرأ هو كتاب الطبيعة والديانة الوحيدة هي أن نعبد الله وأن يكون لنا شرف وأمانة وهذه الديانة الصافية الخالدة لن تكون سببا للأذى ".[٣١]

والحقيقة ان رأيه لم يكن معادياً للدين أو الاسلام بالذات ، فهو لا يرفض الدين أي دين وانما يرفض الأساطير والخرافات التي يضفيها الناس على جوهر العقيدة الدينية السامية فتعمل على تحريفها وتشويهها. كما رفض فكرة احتكار الدين من قبل مجموعة من الناس تسمى بـ (رجال الدين) وهؤلاء لطالما تسلطوا على رقاب العباد باسم الدين وما شهده العصر الوسيط في اوربا خير دليل على ذلك.[٣٢] لقد اراد سلامة موسى ان يحرر عقل الفرد وشخصيته من ضغوط التقاليد وسيطرة الأوهام فدعا الى فصل الدين عن الدولة.[٣٣]

وقد تعرض موسى الى إنتقادات حادة من قبل شيخ الأزهر و بعض المفكرين على حد سواء.[٣٤] ولعل تلك الإنتقادات التي ملأت الصحافة في ذلك الوقت قد شكلت ردة فعل طبيعية في مجتمع اسلامي يصعب اختراقه في مثل هكذا ظرف، لاسيما وإنه قد غالى وتطرف في رفض الميتافيزيقا واتخاذ العقلانية منهجا للتفكير، حيث يقول " ليس للإنسان في هذا الكون ما يعتمد عليه سوى عقله، وأن يأخذ الإنسان مصيره بيده ويتسلط على القدر بدلاً من أن يخضع له".[٣٥] "

وتأثر سلامة موسى بالفيلسوف سبينوزا في موقفه من الميتافيزيقا وعبر عن ذلك بقوله: (إن ديانتي من الناحية الغيبية، تشبه بل تطابق ديانة إسبينوزا، أي أن المادة والقوة شيء واحد ليس بينهما انفصال، وكذلك الشأن في العقل والجسم).[٣٦]

وقد تسبب رأيه هذا في سجالات وصراعات فكرية مع خصومه المنتقدين بشدة لموقفه هذا. واذا ما اردنا أن نفترض حسن النية في موقفه من الدين يمكن لنا ان نقول بانه لم يكن موقفا معاديا قدر ما هو دعوة للتحرر من العادات والتقاليد القديمة والتحرر من السلطة الدينية التي يمارسها رجال الدين . وقال: " أريد أن أكافح تاريخنا أكافح هذا الشرق المتعفن الذي تتغلل فيه ديدان التقاليد" . [٣٧] وقد جعل موسى من انتقادات مناوئيه القوية دافعاً للاستمرار في محاربة الأفكار الرجعية التي رأى فيها البعض تربية منه للمجتمع.[٣٨]

ثانيا: موقفه من التراث

كان للموقف النقدي الحاد الذي اتخذه سلامة موسى من التراث العربي ومن اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم أثر كبير في عدم نجاح وتكامل مشروعه الفكري التنويري الذي جاء به بعد عودته من أوربا وهو ما فتح عليه أبواب الاتهام والنقد من فطاحل الفكر والأدب في ذلك الوقت أمثال العقاد ومحمد عمارة وغيرهم. وحري بنا هنا ان نستعرض ونحلل بإيجاز موقفه من التراث ليتسنى لنا فيما بعد إجلاء حقيقة الموقف بحيادية وموضوعية وعلى النحو الآتي..

١ – دعا سلامة موسى الأدباء المصريين الى القطيعة مع العرب بتراثهم ولغتهم والتوجه التام نحو أوربا والتعلم من فنونها وآدابها وعلومها. وسوغ ذلك بأن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري بل تجعل من المجتمع ينصهر في القومية العربية. وكأنه يدعو لانسلاخ مصر من بيئتها العربية والنزوع بها نحو تغريبها وتجريدها من كل مقومات وجودها.

٢- دعا في كتابه "كيف نربي أنفسنا" الى محاربة الرجعية والعقائد الجامدة الموروثة والدعوة الى حل المشكلات الاجتماعية والأمية المستشرية بالتفكير الحر المبتكر وذلك لا يكون – حسب رأيه – الا بمحاربة التراث.[٣٩]

٣- الدعوة الى نبذ الشرق المليء بالميتافيزيقا ورفض الانغلاق على الذات والتوجه نحو الغرب الذي يحيا على العلم والصناعة والديموقراطية والمساواة بين الجنسين واستقلال الشخصية والنظرة الموضوعية لهذه الدنيا والحُكم البرلماني.[٤٠] والتوحد معه كشرط من شروط النهضة في مصر، فالحضارة الجديدة المنتظرة هي الحضارة الصناعية.[٤١]

٤- الدعوة الى تغليب الاتجاهات العلمية في التفكير على كل انماط الثقافة العربية، لأن الأمة التي تهمل العلوم إنما تهمل حياتها. وذكرنا هنا أنه حاول في مصر طيلة حياتي الماضية أن يعمم التوجيه العلمي بمؤلفات شعبية مختلفة.[٤٢]

٥- وهذه النقطة مهمة جدا لأنها تتعلق بعصب التراث والحضارة العربية ألا وهي اللغة، وللحقيقة نقول أن موقفه من اللغة موقف غريب وغير مسوغ البتة وفحواه أن اللغة هي وسيلتنا الأولى للتعبير عما في داخل رؤوسنا ونفوسنا وتعد أهم طريقة نتواصل بها مع الآخرين، ولكنها هي من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتماعي فالعلوم لا تزال خرساء في اللغة العربية ونحن مازلنا نقتبس عبارات عربية يعافها الذهن الذكي ومرجع تلك العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التي تعلمناها وغرست في نفوسنا قيماً مزيفة للاستعارة والمجاز لذلك كله لابد من توجه الشباب المصري لدراسة اللغات الأجنبية ليستعينوا بها على الاتصال العالمي.[٤٣]

واتهم اللغة العربية بالعجز حتى عن وصف أبسط الأشياء وعجزها عن الوفاء بمتطلبات الترجمة عن اللغات الأخرى وذلك لكونها لغة بدوية تبعثر الوطنية المصرية في إطار القومية العربية وبذلك التبعثر يزداد ربط مصر بالشرق دون الغرب. [٤٤] وهنا، اذا كان يمكن لنا أن نتفق مع سلامة موسى جزئيا في ما ذهب اليه بخصوص نظرته الى التراث، حيث التقوقع في الماضي والانغلاق عليه واستحضاره في كل وقت، وهو أمر مرفوض لأنه يقف على الضد تماماً من مواكبة عجلة التقدم العلمي والحضاري السريع في العالم. فإننا لانتفق معه فيما يتعلق باللغة العربية فهي من ضمن اللغات الحية في العالم علاوة على انها لغة القرآن الكريم ولايمكن بأي حال من الأحوال التخلي عنها أو استبدالها بلغة ثانية كما فعل مصطفى اتاتورك في تركيا. بل نراه يذهب الى ابعد من ذلك عندما دعا إلى اللغة العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى وذلك لإنهاء الازدواج في اللغة عند

المصريين. وتحمس سلامة موسى لتلك المبادئ فدعا إلى نبذ اللغة العربية الفصحى وتوحيد لغة الكلام ولغة الكتابة، ودعا الى كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني لأن ذلك بحسب رأيه "وثبة نحو المستقبل" كما طالب بأن تتسع اللغة العربية للعلوم والفنون التي لم يعرفها العرب.

والحقيقة أن سلامة موسى لم يرفض التراث وأنما رفض الطريقة التي تعامل بها المفكرون مع التراث وإنه ميز بين ماهو قديم وقديم قابل لأن يكون معاصراً لنا.[٤٥] ويرى أن المجتمع العربي كله إنما رضع من الإسلام وتربى في تقاليده، ولهذا نحتاج الى دراسة القرآن الكريم كي نفهم الأصول التي بني عليها المجتمع، مثلما نحتاج الى دراسة الأدب العربي والثقافة العربية العامة لنعرف كيف نشأت ونضجت ثم انحطت وتدهورت.[٤٦] ويعدُّ موضوع اللغة من أهم أسباب هجوم بعض المفكرين والنقاد على سلامة موسى حتى اتهم بعدم الانتماء لقوميته وعروبته وبأنه معاد للإسلام.[٤٧]

وفي أواخر ١٩٣٠ أخرج سلامة مجلتين أحدهما شهرية وهى " المجلة الجديدة " والأخرى أسبوعية وهى " المصري" ليحارب من خلالهما المستبدين والمستعمرين فضلا عن الرجعيين الذين لا يأخذون بالآراء العصرية فيما يخص المرأة وحريتها ومقاومة الغيبيات ، وبالطبع كل تلك المهام لم يؤدها بشكل سهل بل تعرَض للكثير من الصعاب والهجمات منها أن شيخ الأزهر في سنة ١٩٣٠ كتب لوزارة المعارف يحذرها من خطر سلامة موسى ومجلاته الصحفية وخاصة مجلة " المجلة الجديدة " التي كان سلامة يصدرها بالتعاون مع تلك الوزارة وبالفعل استسلمت الوزارة لنصيحة شيخ الأزهر بجهل وجبن كما يقول سلامة.

وصحيح ما ذهب اليه الباحث غالي شكري من أن ثورة سلامة موسى على الأدب العربي القديم من جهة، وضد الغيبيات من جهة أخرى، قد أحدثت لبسا عند الكثيرين... فهو لايثور على التراث الفكري العربي وإنما يثور ضد أدبائنا وكتابنا الذين يحتذون القوالب العربية القديمة في التعبير. والصحيح هو أن يقوموا بدراسة تلك الآداب لنكتشف حلقات تطورنا الأدبي، فنستطيع دفعه الى الأمام.[٤٨]

ومع ذلك فإننا نرى أن التراث العربي بكل أحداثه التاريخية وعلومه وآدابه الكلاسيكية ولغته العربية تشكل هوية الأنسان العربي بغض النظر عما كان يتضمنه ذلك التراث من مآخذ تسجل عليه[٤٩]، فالخلل والقنوط الذي تعانيه الأمة وما أصابها من جهل وأمية وتخلف ليس مرده التراث وانما الأنسان الذي لم يعرف كيف يتعامل مع تراثه، بل تقوقع فيه ولم يغادره ، كذلك فإنه لم يستفد لا من تراثه

ولا من تجارب الأمم الأخرى. وهنا من حقنا ان نتساءل ان الغرب الذي يدعونا موسى الى محاكاته وتقليده ألم يكن له تراث وتاريخ أسود ومظلم لاسيما في العصور الوسطى؟؟، ألم يفخر الغرب بتراثه وتاريخه في حقب زمنية مختلفة؟؟ نعم لقد وجه مفكرو الغرب سهام نقدهم لتراثهم لكنهم في الوقت نفسه لم يتقاطعوا معه ولم ينبذوه ، فلماذا تحامل موسى وحنق على تراثه وتاريخه بهذا القدر وكان الأجدر به وبكل رجال عصر النهضة من مفكرين وأدباء ان ينهضوا أولاً وبالذات بالتربية والتعليم فهما سلاحان قويان وكفيلان بتوجيه العقل العربي نحو الاتجاه الصحيح وكفيلان أيضا بمحو كل أشكال الجهل والأمية التي هرب منها سلامة موسى إلى أوربا.

المبحث الثالث: مشروعه التنويري واسباب الفشل

تمهيد...

على الرغم من اختلاف الباحثين والمفكرين والمثقفين بشأن شخصية سلامة موسى، الا انهم متفقون على أنه شخصية تنويرية إصلاحية مجددة أسهمت بشكل كبير في ايقاظ المجتمع من سبات الجهل والتخلف الذي كان عليه في ذلك الوقت. وما من شك أن مشروع سلامة موسى التنويري يحمل في طياته كثيراً من الإيجابيات وهو أمر لا يمكن ان ينكر من مناوئيه ومنتقديه الذين ركزوا فقط على مواطن الضعف في مشروعه هذا.. هذا المبحث سيتناول اولا الجوانب الإيجابية ثم يتناول الجوانب السلبية في مشروعه التنويري سنرى فيما اذا كانت تلك الجوانب قد أسهمت في إفشاله أو ان النتائج التي آل اليها المشروع كانت على خلاف ما قصد إليه سلامة موسى..

أولا: الجوانب الايجابية

١- الدعوة إلى تحرير المرأة من عبودية الرجل.[٥٠]

٢- قدم العديد من الأفكار السابقة إلى عصره وزمانه كالدعوة الى العولمة الثقافية والفكرية ، وان المجتمع العربي سيخضع لها لامحالة.[٥١]

٣- الدعوة إلى الديمقراطية والحرية والترويج للفكر الإشتراكي الذي صار واحداً من أبرز رواده.[٥٢]

٤- الدعوة إلى التعليم والقضاء على الأمية التي تشكل عقبة كبرى أمام أي تنمية ثقافية واجتماعية.[٥٣]

٥- أسهم بشكل كبير في نشر الوعي وتثقيف الشباب وتنويرهم من خلال مقالاته الصحفية وكتبه الأدبية.

٦- الدعوة الى إصلاح المجتمع وتحرير العقل من ضغوط التقاليد وسيطرة الخرافات وفصل الدين عن الدولة.

٧- الإيمان بالتغيير كأساس للوجود الإنساني وكركيزة لتطور المجتمع، لأن المجتمع ليس نهائياً بل هو في تطور مستمر.

٨- الدعوة إلى محاكاة الغرب واستلهام كل ماتوصلوا اليه من منجزات ثقافية وحضارية قائمة على العلم والصناعة.

ثانيا: الجوانب السلبية

أشرنا آنفا الى الجوانب المضيئة في مشروع سلامة موسى التنويري. ولكن هذا المشروع تكتنفه أيضا جوانب معتمة اتخذ منها بعض خصومه نقطة انطلاق للهجوم عليه والنيل منه واتهامه من ثم بالعمالة للأجنبي.[٥٤] وبعيداً عن رؤى هؤلاء كان غلو سلامة موسى في مجاراة الغرب وحضارتهم من ناحية وغلوه في رفض الشرق وتراثه الميتافيزيقي من ناحية ثانية وبروز الحركات الإسلامية الدوغمائية من ناحية ثالثة قد شكل سبباً مهماً في عدم رواج واستمرار مشروعه التنويري في الربع الأخير من القرن الماضي. ولو استقصينا واقع مجتمعاتنا العربية عموماً ومصر على وجه الخصوص لوجدنا ان مشروع سلامه موسى انتهى تقريبا الى الفشل بعد تشبث تلك المجتمعات بكل انواع الميتافيزيقا وبعدها عن المنهج العلمي في تفسير ظواهر المجتمع وتراجعه الكبير عن كل مظاهر التقدم والسلوك الحضاري الذي كان عليه في فترة الخمسينات والستينات والسبعينات. وبدلا من فصل الدين عن الدولة صار الدين يتحكم في مسارها، وصارت الآيديولوجية الدينية المنغلقة تسيطر على معظم المجتمعات العربية، فضلا عن تراجع التعليم وشيوع الاستبداد وهذه كلها مؤشرات تؤكد أفول مشروع موسى التنويري الذي كافح طوال سنوات من اجل نشره بين الناس.. فضلاً عن ذلك كانت هناك عوامل سلبية أسهمت بشكل مباشر او غير مباشر في تقويض مشروعه من أهمها:

١- محاولته في جعل المجتمع العربي صورة طبق الأصل من المجتمع الغربي. وهذا أمر مستحيل لاختلاف الطبيعة التركيبية الاجتماعية التي صدروا عنها.

٢- تجاوزه للعقيدة الدينية (المسلمة والمسيحية) وتجاهل ما لها من قيمة تربوية وروحية عند الناس.

٣- عدم تعامله مع الجوانب المشرقة في التراث والتاريخ العربي بشكل إيجابي.

٤- اتهامه للغة العربية بأنها لغة بدوية (غير حية) ولا تواكب التطور.

٥- النزوع نحو الفرعونية والابتعاد عن القومية العربية.

ونتيجة لموقفه الفكري هذا، تعرض سلامة موسى الى الاضطهاد والاعتقال والإقامة الجبرية في مصر، وهو مالم يتعرض له أي مفكر آخر معاصر له، بل على العكس من ذلك نرى أن الأهتمام الفكري والأدبي والإعلامي قد سلط الضوء على طه حسين على الرغم من أنا للأخير من مواقف فكرية جرئية وخطيرة. وهو مانراه إجحافاً كبيراً بحق مفكر كبير كسلامة موسى.

الخاتمة..

إن سلامة موسى أديب من طراز خاص، وهو إنسان بكل معنى الكلمة، يؤمن بالاشتراكية العلمية وذو نزعة انتقائية في الفلسفة. عاش في حقبة زمنية من أكثر الحقبات ثراءً وتنوعا في التاريخ المصري الحديث حيث شملت تحولات سياسية واجتماعية عديدة وخطيرة في الوقت ذاته. ولأنه من أبناء تلك الحقبة فقد اتسمت كتاباته هو أيضاً بالتنوع الذي شمل به عصره فنجده كتب في مجالات عديدة لتنوير العامة وليس النخبة فقط. وعلى الرغم من نزعته العلمية وميله للماركسية وماديتها، والشيوعية واشتراكيتها فإنه لم يقف من الدين موقفاً معادياً، بل إن موقفه أكد روح الأنسانية لديه، وهو لايرى أي تعارض بين الفلسفة والدين، بل ان قضية كلاهما كيف نفكر التفكير السليم ونعيش العيشة الطيبة.

إن شخصية سلامة موسى هي واحدة من الشخصيات القلائل التي احتفظت بتوازنها النفسي والفكري (الآيديولوجي) المرسوم لها حتى اللحظة الأخيرة من حياته[٥٥].. نعم كان هناك بعض التراجع عن بعض الأفكار وخصوصا تلك التي لا تخدم منهجه العام، كتراجعه عن اعجابه بفلسفة نيتشة، ولم يكن ذلك التراجع صادراً عن واعز ديني أو نفسي وانما كان ناتجا عن تحليل علمي فلسفي عميق لصراع القيم عند نيتشة ؛ إذ أن ذلك الصراع يعود بنا إلى شريعة الغاب ولايتناسب طردياً مع التطور المدني والحضاري للأنسان.

<u>المصادر والمراجع :</u>

١- بدوي ، عبدالرحمن: فلسفة العصور الوسطى، ط ٣ ، دار القلم للنشر، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩.

٢- الشرقاوي ، محمود : سلامة موسى المفكر والأنسان، القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٨.

٣- الشريف ، ماهر: مقال على الموقع الألكتروني (الحوار المتمدن)، تحت عنوان : " سلامة موسى نموذجا للتطوير ".

٤- شكري ، غالي: سلامة موسى وأزمة الضمير العربي، ط ٤، لبنان – بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣.

٥- عبداللطيف ، كمال: سلامة موسى وإشكالية النهضة، دار الفارابي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٢ .

٦- عبدالملك ، أنور: دراسات في الثقافة الوطنية، دار الطليعة للنشر، بيروت، ١٩٩٧.

٧- العالم ، محمود أمين: الأنسان.. موقف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

٨- موسى ، باسنت: مقال على الموقع الألكتروني (الحوار المتمدن)، تحت عنوان " سلامة موسى وجانب آخر من حياته ".

٩- موسى ، سلامة: " الأنسان قمة التطور " ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦١.

١٠- موسى ، سلامة: " البلاغة العصرية واللغة العربية " ، ط ٣ ، المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٥٣.

١١- موسى ، سلامة: التثقيف الذاتي" ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٦.

١٢- موسى ، سلامة: " تربية سلامة موسى " ، الطبعة الثالثة، مؤسسة الخانجي للنشر– القاهرة ، ١٩٥٨.

١٣- موسى ، سلامة: " عقلي وعقلك " ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة ، ١٩٥٢.

١٤- موسى ، سلامة: " كيف نربي أنفسنا " ، ط ٢، المكتبة العصرية، ١٩٥٨.

١٥- . موسى ، سلامة: " مختارات سلامة موسى " ، ط١، المكتبة العصرية للنشر، القاهرة، ١٩٢٦.

١٦- موسى ، سلامة: " المرأة ليست لعبة الرجل " ، طبعة القاهرة لسنة ١٩٥٦.

١٧- موسى ، سلامة: " مشاعل الطريق للشباب "، ط ٣، دار العلم للملايين، لبنان– بيروت، ١٩٦٤.

١٨- موسى ، سلامة: " مقدمة السوبرمان " ، ط ١ ، دار الهلال للنشر ، القاهرة، ١٩١٠.

١٩- موسى ، سلامة: " نظرية التطور وأصل الأنسان "، ط ١، المكتبة العصرية للنشر، القاهرة، ١٩٥٧.

٢٠- موسى ، سلامة: " هؤلاء علموني " ، ط ١، مؤسسة الخانجي للنشر – القاهرة ، ١٩٥٣.

٢١- موسى ، سلامة: " اليوم والغد " ، ط ١ ، المطبعة العصرية بالقاهرة، ١٩٢٨.

الهوامش والتعليقات الختامية:

[١] سلامة موسى : مفكر وأديب مصري ولد بقرية في مدينة الزقازيق سنة ١٨٨٧ لأبوين قبطيين، ظل في الزقازيق حتى حصوله على الشهادة الأبتدائية. انتقل بعدها للقاهرة وحصل على شهادة الثانوية العامة سنة ١٩٠٣ ثم سافر الى اوربا في سنة ١٩٠٦ ، وبعد رحلة طويلة في الفكر والأدب توفي في القاهرة سنة ١٩٥٨. ترك إرثا فكريا كبيرا أثار من بعده جدلا واسعا بين المفكرين في النصف الأول من القرن العشرين وهو يمثل امتدادا للمفكر التنويري اللبناني شبلي شميل. للوقوف على تفاصيل سيرة حياته وفكره انظر كتابه (تربية سلامة موسى)، الطبعة الثالثة، مؤسسة الخانجي للنشر- القاهرة، ١٩٥٨، ص٧-١١٠.

[٢] انظر: غالي شكري: سلامة موسى وأزمة الضمير العربي، ط ٤، لبنان – بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص ١٠

[٣] محمود الشرقاوي : سلامة موسى المفكر والأنسان، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٨، ص ٢٣.

[3] انظر تفاصيل سيرته الذاتية في كتابه "تربية سلامة موسى" من بدايته وحتى نهايته.ط ٣، مؤسسة الخانجي للنشر- القاهرة ، ١٩٥٨. وكذلك كتابه " هؤلاء علموني " ط ١، مؤسسة الخانجي للنشر – القاهرة ، ١٩٥٣.

[٥] من بين أهم أسباب اعجابه بفرنسا دستورها وقوانينها التي تكفل الحرية للجميع ولاسيما المرأة.

[٦] سلامة موسى: المرجع السابق: تحت فصل (التربية الأدبية والعلمية) ، ص ٨٥-١١٠.

[٧] أنظر مقدمة كتابه : "اليوم والغد " ، ط١ ، المطبعة العصرية بالقاهرة، ١٩٢٨.

[٨] يتحدث سلامة في كتابه (هؤلاء علموني) بأنه ذات يوم عندما كان عائدا من ايطاليا الى مصر على متن باخرة ومعه مجموعة من الكتب وكان يطالع كتابا لكارل ماركس وحين انتهى من قراءته رماه في عرض البحر. هذا الموقف يؤكد لنا بأنه كان يخشى ان يدخل معه هكذا نوع من الكتب الى مصر في دلالة واضحة الى الأستبداديين الديني والسياسي معا.

[٩] اشار في كتابه " تربية سلامة موسى " الى تأثره بفكر كارل ماركس قائلا: " وأحب أن أعترف أنه ليس في العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل كارل ماركس، وكنت أتفادى اسمه خشية الاتهام بالشيوعية"، ص٢٦٩ وص ٢٩١.

[١٠] اخذت هذه الجمعية اسمها من القائد الروماني فابيوس.

[١١] سلامة موسى: مشاعل الطريق للشباب ط ٣، دار العلم للملايين، لبنان- بيروت، ١٩٦٤، ص ١٦-١٧.

[١٢] انظر مؤلفاته: عقلي وعقلك، المرأة ليست لعبة الرجل، التثقيف الذاتي ، مختارات سلامة موسى، وغيرها كثير لاسيما المقالات التي كانت تنشر في صحف: "المستقبل" و "اخبار اليوم".

[١٣] بهذا الخصوص انتقد سلامة من خلال كتبه وعبر مقالاته في الصحف كلا من العقاد وطه حسين، اذ قال: عندما أقارن بين مؤلفاتي وبين مؤلفات طه حسين وعباس العقاد، أعجب أكبر العجب؛ لأن موضوعاتها التي تشغلهما تختلف عن الموضوعات التي تشغلني، فإن لهما أكثر من ثلاثين أو أربعين كتابًا عن شرح المجتمع العربي في بغداد والمدينة ومكة وغيرها من الدراسات عن أبطال من العرب ماتوا قبل ١٣٠٠ أو ١٢٠٠ سنة. راجع: تربية سلامة موسى، ص ٢٨٩.

[١٤] راجع: غالي شكري: المرجع السابق: ص٤٤-٤٦.

[١٥] محمود أمين العالم : الأنسان.. موقف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٣.

[١٦] أنور عبدالملك، دراسات في الثقافة الوطنية، دار الطليعة للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٨٨، وانظر ايضا: كتاب " تربية سلامة موسى " ص٩٩- ١١٠.

[١٧] كمال عبداللطيف : سلامة موسى وإشكالية النهضة، دار الفارابي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٢، ص ٢٣١

[١٨] أنور عبدالملك: دراسات في الثقافة الوطنية، دار الطليعة للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٨٨

[١٩] كمال عبداللطيف: المصدر السابق، ص ١٢٥

[٢٠] صدر هذا الكتاب بعد وفاته بثلاث سنوات في سنة ١٩٦١، وهو من الكتب المهمة والخطيرة في قائمة كتبه الأربعين.

[٢١] ويستمر موسى في شرح نظرية دارون التطورية ويؤيد تشارلس دارون في كل ماذهب اليه فيقول : أما الملط وزوال الشعر فمرجعه إلى أننا نحن البشر قد اهتدينا إلى النار وإلى السكن في الكهوف منذ أزمان بعيدة فانتفت حاجتنا للشعر الكثيف على أجسامنا. ولا يزال أثر المناخ واضحاً، فإن الزنجي الذي يعيش حول

خط الاستواء أملط بخلاف الأوروبي الذي لا يزال الشعر يكسو معظم جسمه، لأن الشعر يؤدي عمل الكساء الصوفي في التدفئة، وأوروبا باردة وأفريقيا حارة. والفيل في أفريقيا وآسيا يكاد يكون بلا شعر بينما الدب والثعلب في القطب الشمالي يكتسيان بفراء وفيرة كثيفة. لمزيد من التفاصيل انظر كتابه: (نظرية التطور وأصل الأنسان) ، ط ١، المكتبة العصرية للنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢١ ومابعدها. وكذلك راجع: "تربية سلامة موسى" المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٤.

[٢٢] "تربية سلامة موسى": المرجع السابق: ص ٢١٢.

[٢٣] غالي شكري: المرجع السابق، ص ٦٠.

[٢٤] "تربية سلامة موسى"، المرجع السابق، ص ٢١٢.

[٢٥] سلامة موسى: "تربية سلامة موسى" ، ص ٢١٠

[٢٦] غالي شكري: المرجع السابق، ص ٤٦.

[٢٧] سلامة موسى: المرجع السابق، ص ٢١٩، كان سلامة دائما مع العقيدة الدينية في جانبها الروحي الحقيقي الأيجابي ويرفض مالها من سلبيات (اسطورية خرافية) اضافها البشر اليها بمرور الزمن.

[٢٨] المرجع السابق: ص ٢٧٢

[٢٩] المرجع السابق : ص ٢١٨.

[٣٠] المرجع السابق، ص ٢٧٢.

[٣١] باسنت موسى: (سلامة موسى وجانب آخر من حياته)، موقع الحوار المتمدن، العدد ٢٠٠٨/١/٣١.

[٣٢] انظر: عبدالرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ط٣، دار القلم للنشر، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٩.

[٣٣] كان سلامة موسى مقتنعاً بأن اعتلاء الدين للدولة يضر بالدين ويحط من شأنه، فالدين يجب أن يتجرد من أي سلطان مادي أو حكومي حتى يستنبط قواه الروحية المستقلة ويصل للقلوب دون مساعدة خارجية انظر: مقال لماهر الشريف على موقع الكتروني (الحوار المتمدن) ... تحت عنوان "سلامة موسى نموذجا للتطوير".

[٣٤] تعرض سلامة موسى الى انتقادات واسعة واتهامات طالت ولاءه وانتماءه العربي بسبب أفكاره في الفلسفة والدين قادها مفكرون أمثال: العقاد وطه حسين ومحمد عمارة وشيخ الأزهر أيام حكم اسماعيل صدقي سنة ١٩٣٠.

[٣٥] "تربية سلامة موسى" المرجع السابق: ص٢١٩-٢٢٠

[٣٦] سلامة موسى: تربية سلامة موسى، ص٢١٩.

[٣٧] انظر كتابه (مقدمة السوبرمان) أورد فيه فصلا تحت عنوان "نشوء فكرة الله" والذي ينطلق فيه من اساس مادي للكون ورفض للفكر الديني والإيمان الغيبي، والتركيز على ضرورة الأنتماء الكامل للغرب.

[٣٨] راجع: غالي شكري في كتابه (سلامة موسى وأزمة الضمير العربي)، ويعد هذا الباحث من أكثر المتحمسين لفكر سلامة موسى والدفاع عنه.

[٣٩] يصف سلامة موسى مجتمعه المصري الذي يعيش فيه بأنه مجتمع رجعي متخلف خاضع لمجموعة من الأعراف والعادات كأنها شعائر دينية يجب ألَّا تُخَالَفُ أو تُنَاقَضُ، ويجب أن يخضع في سلوكه وتفكيره لقواعد وسنن يجب ألَّا يخالِفها، بل يجب ألا يتحدث عمَّا يخالفها إذا خطرت له، وهو يخضع لسلطة دينية مسلمة او مسيحية تحرم وتحلل عليه الأشياء ، فالكنيسة الكاثوليكية مثلًا تعيّن نحو مئة كتاب أو أكثر لا يجوز في زعمها للمؤمنين بها أن يقرؤوها، وقد كانت هذه الكنيسة تأمر بإحراق الكتب التي لا تحب، كما فعل فرانكو في إسبانيا وهتلرفي ألمانيا قبل سنوات، وقد ارتكبنا نحن في مصر شيئًا قريبًا من هذا في بعض الكتب الاشتراكية والشيوعية، وهذا الخزي الوطني قد أوقعنا فيه رجعيون، يخشون الإبداع والإبتكار. لتفاصيل أكثر أنظر كتابه: "كيف نربي أنفسنا"ط ٢، المكتبة العصرية، ١٩٥٨. وكذلك كتاب "تربية سلامة موسى".

[٤٠] راجع كتابه البلاغة العصرية واللغة العربية، ص ٥٣

[٤١] "تربية سلامة موسى: ص ٢٣٦.

[٤٢] المرجع السابق: ص٢٢٨-٢٢٩.

[٤٣] راجع مقدمة كتابه: "البلاغة العصرية واللغة العربية". وكذلك فصل "فن البلاغة".

[٤٤] المرجع السابق.

[٤٥] بهذا الخصوص يقارن سلامة موسى بين مؤلفاته ومؤلفات غيره من المفكرين المعاصرين له فيقول " إني كنت أنتقص قيمة مؤلفاتهم لأنها لم تكن تتجه الأتجاه العلمي أو على الأقل كانت تتجاهل الأسس العلمية وتستسلم لمزاعم غيبية تافهة. ولذلك تعد مؤلفاتي من أدوات التطور الذهني في مصر، وليست كذلك مؤلفات كثير من الكتاب الذين عاصروني. ففي الوقت الذي كنت أؤلف فيه عن "العقل الباطن" أو "نظرية التطور وأصل الأنسان" أو "البلاغة العصرية واللغة العربية" او "حرية الفكر"... أو نحو ذلك مما يوجه ويغير(نظرتنا للتراث) ، كان غيري يؤلفون عن الخلفاء الراشدين أو الأمويين أو العباسيين!... كنت أنشد الآفاق وأرتاد المجاهل في الوقت الذي كانوا هم فيه يشرحون لقرائهم قواعد الفعل الماضي. مع أن هذه القواعد

معروفة ومشروحة في مئات الكتب القديمة ولا تحتاج الى زيادة في الشرح أو الأيضاح. فإن جميع الذين كتبوا مثلا في ترجمة عمر بن الخطاب لم يكتبوا عنه بأوفى مما كتب ابن أبي الحديد منذ نحو ألف سنة...ولكن الجمهور المتعطش الى الثقافة العصرية كي يفهم الحضارة العصرية لايجد غير هذه الموضوعات القديمة فيبقى، أي هذا الجمهور، قديما غير عصري". انظر: "تربية سلامة موسى"، ص٢٢٨-٢٢٩.

[٤٦] راجع كتابه: "التثقيف الذاتي"، المرجع السابق، ص١٥٧-١٦٢.

[٤٧] قال عنه عباس محمود العقاد "إن سلامة موسى أثبت شيئا هاما؛ هو أنه غير عربي"، نقلا عن: غالي شكري: سلامة موسى وأزمة الضمير العربي، المرجع السابق، ص٦٤-٦٦.

[٤٨] غالي شكري: المرجع السابق، ص ٧٠.

[٤٩] من المفارقة التي يجب الأشارة اليها هنا أن سلامة موسى قد ألف كتبه باللغة العربية الفصحى، مع دعوته إلى تركها ولكنه لم يستطع التخلص من مؤثرات التراث والنزوع الشرقي الذي تربى فيه وعليه ودليلنا على ذلك موقفه من تلك الفتاة الآيرلندية "اليزابيث" التي تعرف عليها في انكلترا والتي كانت تتوافق معه تماما في الميول والأفكار، لكنه لم يستطع الأقتران بها- كما يقول – لأن طباعه الشرقية المتأصلة فيه حالت دون ذلك. انظر تفاصيل ذلك في "تربية سلامة موسى"ن ص ٧٨.

[٥٠] للمرأة عند سلامة موسى قيمة روحية عليا، نادى بحريتها وتعليمها واستقلال شخصيتها رافضا ان تكون دمية للرجل. انظر تفاصيل موقفه من المرأة في كتابه "المرأة ليست لعبة الرجل" ، طبعة القاهرة لسنة ١٩٥٦ .

[٥١] أقام المجلس الأعلى للثقافة المصرية احتفالية كبرى لسلامة موسى سنة ٢٠٠٨ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على وفاته.. تناولت دوره الكبير في تثقيف وتنوير الشباب العربي.. راجع البحث الذي قدمه المفكر عاطف العراقي بهذا الخصوص.

[٥٢] هو أول من وضع حجر الأساس للفكر الأشتراكي في مصر. انظر: الفصل (الكفاح السياسي) من كتابه: "تربية سلامة موسى"، وأيضا كتابه عن الأشتراكية.

[٥٣] انظر كتابه: "التثقيف الذاتي" المرجع السابق.

[٥٤] من بين هؤلاء المفكر الإسلامي محمد عمارة، الذي يؤمن بأيديولوجيا مختلفة تماما عن منهج وفكر سلامة موسى.

[٥٥] يقول في كتابه "تربية سلامة موسى" : (وإني حين أفكر في الموت فإنما أفعل ذلك كي استنبط وأستخلص منه عزما جديدا لأن أحيا. وذلك لأني أسلم بنهاية الموت. وليست لي أية مطامع غيبية بعده. وكثيرا ما يخطر ببالي أن إحراق الجثمان خير من دفنه. لأن النار التي تلتهم الجسد وتحيله الى غاز ورماد تؤكد هذه النهاية، أوعلى الأقل تؤكدها في إحساسنا. ولذلك أرجو أن أنتهي إلى هذا المصير.)، ويوضح في كتاب آخر له إن طلبه بإحراق جثمانه هو ليس كما يفعل الهنود تماما، وليس إيمانا بالفلسفة الهندية البوذية، وإنما كان إيمانا علميا صرفا لقواعد تلك العملية. لمزيد من التفاصيل انظر كتابه: مختارات سلامة موسى، ط١، المكتبة العصرية للنشر، القاهرة، ١٩٢٦.

Criticism and analysis of the Enlightenment project of Salamah Mosa

Asst. Prof. Faeza T. Al-Shemmeri
Almustansiriyah Unversity
College of Arts
E- faeza.alshemeri@yahoo.com

Abstract

Slama Mosa was one of the important Arab thinkers , in the 20 the Century. He refused in his books all habits that influence on the youth mentality and showed up the Social stream among the educated people between the 1st and 2nd wars.

When we look the results of reading his works, we find him followes three great thinkers : **the first: French writer Voltaire as a symbol of freedom of thought through the revolution of the Balinese beliefs (in Egypt and the Arab society).**

Second: the sarcastic English writer Bernardo as a symbol of ridicule of political reality and of the introduction of philosophy through literature .

Third: The English world "Charles Darwin" as a symbol of the scientific approach to thinking.

Each one of them gave him the principles of life : freedom , political literature and scientific thought.